An-Najah University Journal for Research - B (Humanities)

Volume 36 | Issue 9 Article 5

2022

Abdulhamid Sharaf, the intellectual and politician

Bassam Btoush
Department of Humanities, College of Social and Basic Sciences, Al-Hussein Bin Abdullah Technical University, Amman, Jordan, Bassam.Btoush@htu.edu.jo

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b

Recommended Citation

Btoush, Bassam (2022) "Abdulhamid Sharaf, the intellectual and politician," *An-Najah University Journal for Research - B (Humanities)*: Vol. 36: Iss. 9, Article 5.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol36/iss9/5

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in An-Najah University Journal for Research - B (Humanities) by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 36(9) 2022

عبدالحميد شرف: المثقف والسياسي

Abdulhamid Sharaf, the intellectual and politician

بسام البطوش

Bassam Btoush

قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والأساسية، جامعة الحسين بن عبد الله التقنية، عمّان، الأردن

Department of Humanities, College of Social and Basic Sciences, Al-Hussein Bin Abdullah Technical University, Amman, Jordan

الباحث المراسل: bassam.btoush@htu.edu.jo

تاريخ التسليم: (2020/6/10)، تاريخ القبول: (2020/9/28)

ملخص

تتلخص المهمة الأساسية لهذا البحث في دراسة الجوانب الفكرية والسياسية في حياة عبدالحميد شرف، ورصد الجدل بين الفكري والسياسي في حياته. واعتمدت في إعداده على مساهمات شرف الفكرية عبر محاضراته ومقالاته ومقابلاته ومؤتمراته الصحفية، وعلى الوثائق السياسية االمنشورة المتصلة بحياته العملية، الى جانب الشهادات التي قدمها عدد من زملائه خلال مسيرة حياته، كما أفدت من أوراقه الخاصة التي تتقتنيها أسرته. وقد عني هذا البحث بإلقاء الضوء على نشأة عبدالحميد شرف وتكوينه، ورصد العوامل المؤثرة في صياغة شخصيته، وتحليل الدوافع التي وقفت خلف قناعاته الفكرية ومواقفه السياسية. وكذلك رصد جدل الفكر والسياسة في حياة عبدالحميد شرف المثقف والسياسي من خلال عدة محاور، هي: القضايا والشؤون الأردنية، القضية الفلسطينية، القضايا والشؤون العربية.

الكلمات المفتاحية: عبدالحميد شرف، الأردن، فكر، سياسة، حكومات.

Abstract

The main objective of this research is to study the intellectual and political aspects of Abdulhamid Sharaf's life, and to monitor the intellectual and political controversy in it. The preparation of this research depends on his lectures to the public, articles, interviews and press

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 36 [2022], Iss. 9, Art. 5

conferences, and a number of political documents relating to his biography, as well as the testimonies given by his colleagues during his study, or during his diplomatic or political career, were all important sources of this study, and it also benefited on his own papers his family has. This study highlighting the genesis and forming of Abdulhamid Sharaf, monitoring factors influencing his personality formulation, and analyzing the motives behind his belief, or political positions. This research focused on the controversy of thought and politics in the life of Abdulhamid Sharaf, through several topics: Jordanian issues and affairs, the Palestinian issue, Arab issues and affairs.

Keywords: Abdul Hamid Sharaf, Jordan, Thought, Politics, Governments.

تمهيد

شرف، النشأة والتكوين والمسيرة

في الزمن العربي الحديث، زمن التجزئة والقطرية، والهويات الفرعية، نجد عبد الحميد شرف، الإنسان، والمثقف، والسياسي، ورجل الدولة، منشغل بهموم الأمة والوطن العربي الكبير كانشغاله بتفاصيل الشؤون والقضايا المتصلة بالأردن وطنه الصغير، ولعل نسبه الهاشمي، ونشأته وتكوينه، والمحطات الرئيسة في حياته تفسر ذلك المدى الواسع من الآفاق والاهتمامات.

ولد عبد الحميد شرف في بغداد عام 1939م، في أسرة هاشمية قادت نهضة العرب الحديثة (الثورة العربية الكبرى)، وكان والده الشريف شرف بن راجح (1818-1955م) حاكما للمدينة المنورة وأميراً للطائف في عهد شريف مكة وملك الحجاز الحسين بن علي (1853-1935م)، وانخرط في صفوف الثورة العربية الكبرى عام (1916)، وبعد انتهاء الحكم الهاشمي في الحجاز عام 1925 انتقل الشريف شرف بن راجح للعيش في بغداد إلى جنب الملك فيصل بن الحسين (1883-1933)، ملك العراق ومؤسس الدولة العراقية. ولما قامت حركة رشيد علي الكيلاني (ت 1965م) في العراق عام 1941م اختير وصياً على العرش الهاشمي في العراق، وبعد فشل الحركة لجأ الشريف شرف إلى طهران، ولما اعتقلته القوات البريطانية، تم ترحيله إلى روديسيا، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م، وأعيد إلى بغداد معتقلاً لدى السلطات البريطانية، إلى أن استضافه الملك عبد الله الأول بن الحسين (1882-1951م) في عمان عام 1947م لينضم إلى أسرته، بعد أن عاشت الأسرة مرحلة اضطراب وقلق وترحال؛ فتنقلت بين استانبول وبرلين وصوفيا واستانبول ثانية، إلى أن استقر بها المقام في عمان عام 1945، والتأم شمل العائلة أخيراً

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol36/iss9/5

فيها، وبإرادة ملكية عُيّن الشريف شرف عضواً في مجلس الأعيان الأردني عام 1950م وبقي عضواً في المجلس لحين وفاته عام 1955م(1).

وتلقى الشريف عبدالحميد بن شرف بن راجح تعليمه في مدارس عمّان (الأهلية، المطران، والكلية العلمية الإسلامية)، وفي الخامسة عشرة من عمره توفيت والدته، وبعد أربعة أعوام توفي والده، أي في العام 1955م. وفي العام 1956م غادر عمان ميمماً شطر بيروت ليواصل تعليمه في الجامعة الأمريكية، التي تخرج فيها حاملاً درجة البكالوريوس في الفلسفة عام 1959، وواصل فيها دراسة الماجستير في العلاقات الدولية، مكرّساً اطروحته لدراسة تاريخ القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة، وفي الجامعة كان ناشطاً في حلقات حركة القوميين العرب التنظيمية، معطياً جل اهتمامه للشؤون الفكرية والثقافية(2).

وتأتي منابع التكوين الثقافي والفكري لعبدالحميد شرف من داخل أسرته وبيئته الاجتماعية، فكان من الطبيعي أن يتعمّق في وجدانه التوجه العروبي، وأن ينشغل بهموم الأمة وآمالها. وفي أجواء ما خبرته الأسرة من معاناة عبر سنوات الترحال والتنقل، تعلّم الكثير، وتفتّحت عيونه على هموم الفكر والسياسة مبكراً، وانغمس منذ نعومة أظفاره بهموم الأمة، وراح وعيه القومي يتشكل في سنوات الطفولة والصبا وعلى مقاعد الدراسة الأولى في عمان. كما أتاحت له سنوات دراسته في بيروت فرصاً أوسع وأكثر ثراءً وتنوعاً لبناء منظومته الفكرية وتحديد خياراته السياسية والثقافية. وساهمت الجامعة الأمريكية بما تموج به من تيارات فكرية واجتماعية وثقافية متنوعة، كما ساهم تخصصه في الفلسفة، في إتاحة الآفاق الأرحب أمامه للإطلاع على مجمل التيارات الفكرية والاجتماعية العربية والعالمية(3).

---

(1) Patrick Seale: The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd Al Hamid Sharaf, and the Modern Arab World. Quartet Books Ltd; First Edition (September1,984), p2-4. http://www.senate.jo/ar/page/

(2) دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، عبدالحميد شرف الرجل والموقف، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1990،ص 16-18، وسيشار له فيما بعد، عبدالحميد شرف الرجل والموقف. Patrick Seale: The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd Al hamid Sharaf, p5-7.

(3) انظر حول تأثير البيئة في تكوين شخصية عبدالحميد شرف، شهادة شقيقه الأكبر الشريف فواز شرف، إذ يقول:"تجربتي الفكرية والعقائدية وربما يقال الحزبية إذا أردتم، ابتدأت في وقت مبكر خارج الأردن أثناء دراستي في الجامعة. ولكنها قبل ذلك توفرت لي في مناخ منزل والدي، الرجل المناضل الذي قاتل في صفوف الثورة العربية الكبرى، وكان من أبطالها كما تذكر الكتب، ولا أذكر ذلك تفاخراً، ولكنها حقيقة تاريخية منشورة ومعروفة، وكذلك مشاركته الفعلية والأساسية في قضية محاولة تحرير العراق في عام 1941 من الغزو البريطاني الذي قضى على الحكم الوطني وأدى إلى اعتقاله مدة طويلة في سجن أبو غريب، وفي معتقلات بريطانيا في روديسيا والهند. ذلك التكوين الفكري الأساسي هو الذي أدى إلى إيماني بالعروبة والقومية وبالوطن والشعب. كذلك شقيقي عبدالحميد رحمه الله، نحن لم نتعلمها، لأنها ليس مهنة، وانما استيعابنا للفكر السياسي كان جزءاً من حياتنا. وبالتالي عندما ذهبت وشقيقي عبدالحميد للدراسة الجامعية التقينا على فكرة الإيمان القومي أولاً، وكان من ميزات حزب البعث أنه أدخل فكرة الاشتراكية إلى المفاهيم القومية، وربما هذه الأمور وأنا أدرس الاقتصاد لم تناسبني كثيراً، لأنني رغبت في العدالة الاجتماعية، غير الاشتراكية الماركسية التي ربما

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 36 [2022], Iss. 9, Art. 5

وفي الفترة التي انتمى فيها لحركة القوميين العرب انصب نشاطه على تحرير نشراتها الداخلية، والكتابة في مطبوعتها الدورية "الثأر" وفي صحيفتها الاسبوعية "الحرية"، بالإضافة الى المشاركة الجادة في النقاش المنظّم لبلورة إطار فكري للحركة(1).

وقد كانت جهوده الفكرية تذهب في اتجاه "بناء منظور فكري لها (للحركة) وذلك عبر التجسير بين طروحات الفكر القومي المثالي، كما عبّرت عنه كتابات ساطع الحصري وقسطنطين زريق وعلي ناصر الدين، والمعتمدة كمخزون فكري للحركة، وبين الإجابة المنهجية على الكثير من التساؤلات الناشئة عن التطورات السياسية والعامة المتسارعة ضمن هذه المرجعية الفكرية المعتمدة"(2). وكان عبدالحميد شرف أقرب الى اطروحات الفكر القومي المثالي مع إضافات ليبرالية، ولما نحت الحركة باتجاه الاشتراكية الناصرية فكرياً وتنظيمياً، ابتعد تدريجياً عنها الى أن توقفت عضويته فيها قبل عودته الى الأردن في عام 1962م(3).

ومن الصعب أن يكون عبد الحميد شرف بتركيبته الاجتماعية والثقافية والفكرية، مجرد عضو في ثنايا تنظيم سياسي مغلق، ومن هنا رأيناه محلقاً خارج السرب التنظيمي، كمثقف وسياسي مستنير يؤمن بالتجديد والتطور، وحرية التفكير والتحرك والعمل، بعيداً عن الأطر الحزبية الضيقة، أياً كانت، لنجده، يقول: "باختصار العالم العربي يجب أن يواجه اليوم قضية الانماء بذهنية مفتوحة وتحرّر من مركّبات الأيديولوجيا المتعصبة وبحساسية للحاجات الحقيقية وللواقع الموضوعي(4)" وبلا شكل فإن تكوينه الأكاديمي ساهم في بناء شخصيته، وأثّر في مجالات إهتمامه ونشاطه السياسي والفكري، فدراسته للفلسفة وفرت له الأرضية المناسبة للاطلاع على تاريخ الحضارات الانسانية، والتعمق في معرفة المدارس الفكرية المختلفة، والمذاهب السياسية والاجتماعية المتعددة، كما دربته على استخدام المنهج العلمي في البحث. وقد جاءت دراسته العليا لتفتح أمامه مجالا رحبا لمعرفة المعطيات الرئيسة في السياسة الدولية(5).

كانت بعض الجهات البعثية تؤمن فيها. وتلا ذلك رغبة بعض الإخوة بعد التخرج في التنظيم السياسي. بعض الإخوان المثقفين في الأردن ومنهم د. جمال الشاعر الذي كان نشطاً في عمله السياسي في الأردن إضافة لكونه صديقاً. وكان شقيقه الأكبر كمال الشاعر أستاذاً في الجامعة الأميركية في بيروت عندما كنا هناك". أنظر، ملك التل، سياسي يتذكر، الشريف فواز شرف.الدستور،

http://stocksexperts.net/showthread.php?t=75627

(1) ابراهيم عزالدين، الشريف عبدالحميد شرف:مدخل الى شخصيته. ورقة مقدمة في ندوة " عبدالحميد شرف، قراءة في سيرته وتجربته، وقائع الندوة التي نظمها المركز الاردني للدراسات والمعلومات بالتعاون مع وزارة الثقافة، عمان، 1996، تحرير بلال التل وآخرون. ص43-44. وسيشار له فيما بعد، عزالدين، عبدالحميد شرف.Patrick seale: The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd Al hamid Sharaf,p 7

(2) عزالدين، عبدالحميد شرف، ص44.

(3) المرجع نفسه، ص 44-45.

(4) عبدالحميد شرف، الرجل والموقف، ص 45.

(5) عزالدين، عبدالحميد شرف، ص44-45. وانظر، عبدالحميد شرف الرجل والموقف ص21.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol36/iss9/5

وقد هيمن الفتور على علاقته بالدولة الأردنية بسبب نشاطه في صفوف حركة القوميين العرب، لنجده معتقلاً في صيف عام 1958 في عمّان[1]، كما اعتقل للمرة الثانية لفترة محدودة 1962[2]. لكن الملك الحسين بن طلال (1935-1999م) بنهجه المعهود في التسامح واحتضان المعارضين ودمجهم في مؤسسات الدولة، قرّر إعطاء عبدالحميد شرف فرصة العمل في الدولة، فتم تعيينه، عام 1962م، في وزارة الخارجية مديراً للشؤون العربية والفلسطينية، وهكذا طويت الصفحة الثورية في حياته لتبدأ صفحة الاصلاح بحسب باتريك سيل[3].

وفي عام 1963م عُيّن مديراً للإذاعة الأردنية في عمان، في عهد حكومة وصفي التل الثانية (2 كانون أول 1962- 27 آذار 1963)، وعمل على الارتقاء بعمل الاذاعة[4]. وتولى حقيبة الإعلام في حكومة وصفي التل الثالثة عام 1965. وفي وزارة الاعلام، أنشا مديرية الثقافة والفنون التي شكلت نواة لوزارة الثقافة في وقت لاحق، لتشجيع النشاط الثقافي والفني، وأقام إدارات في وزارة الاعلام للاعتناء بالفنون التشكيلية ولتنمية النشاطات المسرحية والموسيقية، وأصدر مجلة "أفكار" الأدبية، كما شجّع التوسع في المهرجانات الأدبية والشعرية والفنية، وفي عهده تم إنشاء أول محطة تلفزيونية أردنية[5]. ومن الملاحظ أنه في السنوات التي أمضاها في عمان 1962-1967 كان مقربا من وصفي التل، وربطت بينهما توجهات مشتركة، خاصة فيما يتصل بالشباب وتوسيع أطار المشاركة السياسية والانفتاح على المعارضة، كما كانت أفكار وصفي التنموية موضع الاعجاب عند عبدالحميد شرف[6].

وفي أعقاب حرب حزيران عام 1967م، عُيّن عبدالحميد شرف سفيراً للأردن في واشنطن1967-1972م، ثم مندوباً للأردن في الأمم المتحدة بنيويورك بين عاميّ 1972-1976م[7]. وتميّز نشاطه وبشبكة علاقاته التي بناها في واشنطن، والاحترام والتأثير الذي ناله بين البعثات العربية في الأمم المتحدة[8]. وعاد الى عمان في عام 1976م ليتولى رئاسة الديوان الملكي

---

(1) عزالدين، عبدالحميد شرف، ص 47.

(2) جمال الشاعر، الجانب القومي في شخصية عبدالحميد شرف، ورقة مقدمة في ندوة " عبدالحميد شرف، قراءة في سيرته وتجربته، وقائع الندوة التي نظمها المركز الاردني للدراسات والمعلومات بالتعاون مع وزارة الثقافة، عمان، 1996، تحرير بلال التل. وآخرون. ص66، وسيشار له فيما بعد، جمال الشاعر، الجانب القومي.

(3) Patrick Seale: The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd Al hamid Sharaf, p8.

(4) عبدالحميد شرف، الرجل والموقف، ص17 .

(5) عزالدين، عبدالحميد شرف، ص 49. Patrick Seale: The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd Al hamid Sharaf,p10-11.

(6) عزالدين، عبدالحميد شرف، ص49-50. Patrick Seale: The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd Al hamid Sharaf,p18.

(7) حول نشاط عبدالحميد شرف وتأثيره أثناء عمله مندوبا للأردن في الأمم المتحدة، انظر حسن أبو نعمه، "الشريف عبدالحميد شرف رجل الدولة"، ورقة مقدمة في ندوة " عبدالحميد شرف، قراءة في سيرته وتجربته، وقائع الندوة التي نظمها المركز الأردني للدراسات والمعلومات بالتعاون مع وزارة الثقافة، عمان، 1996، تحرير بلال التل وآخرون. ص139، وسيشار له فيما بعد، أبو نعمه، رجل الدولة.

(8) Patrick seale: The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd Al hamid Sharaf, p11-13.

الهاشمي لمدة ثلاث سنوات، وهنا أتيح له أن يكون قريباً من الملك الحسين بن طلال، وأن يصبح أقرب مستشار للملك الحسين في الشؤون الدولية والمحلية، كما أتيح له التعلم من منهج الحسين في الحكم والسياسة، وأن يطلع عن قرب على بواطن السياسة الأردنية المحلية، وأن يتعرف على قادة المجتمع الأردني، وزعمائه في المدن والقرى والبوادي، وأن يتحسّس مشاكل المواطنين، وهكذا اجتمعت لدى عبدالحميد شرف الى جانب تجربته الواسعة في العمل الدبلوماسي والقضايا الدولية، خبرة واسعة بالشؤون الأردنية المحلية[1].

وفي هذه المرحلة بدأ عبدالحميد شرف ممارسة نشاطه الفكري في العاصمة عمان ومنتدياتها الثقافية، فألقى عددا من المحاضرات؛ "بناء الانسان العربي الجديد" و "الوحدة والتضامن العربي" و "شروط التقدم السياسي والتقدم الاجتماعي"، و"القضية الفلسطينية". وقد لاقت هذه المحاضرات اهتماما، وجعلت اسم عبدالحميد شرف محط تقدير وإعجاب في الأوساط السياسية والثقافية الأردنية[2]. ولا شك أنه جاء لرئاسته للديوان الملكي، مسلحا بالعلم والخبرة في الشؤون الدولية والسياسية، ولم تكن بيئة الديوان غريبة عليه، فقد سبق له أن شغل منصب مساعد رئيس الديوان، في منتصف الستينيات. ومما يسّر مهمته ارتباطه بصلات طيبة مع رئيس الحكومة آنذاك، مضر بدران (1934-). وفي هذه المرحلة ساهم شرف في التصدي لتحديات كبيرة منها انخراط مصر في مباحثات كامب ديفيد، وخروجها من العمل العربي المشترك[3].

وتم طرح إسم عبدالحميد شرف ليتولى رئاسة الوزراء في وقت مبكر كما يروي عدنان أبو عوده في يومياته، وذلك بعيد الاعلان مباشرة عن مقررات مؤتمر الرباط عام 1974 المتعلقة بالتمثيل الفلسطيني، وعلاقة الأردن بالقضية الفلسطينية، وأورد أبو عوده مبرراته لاقتراح إسم عبدالحميد شرف، لكونه هاشميا، ومقبولاً عربياً وفلسطينياً وأردنياً، وفي أوساط المثقفين، كما أنه قادر على البدء بعملية التحديث، كما لم يعرف عنه الفساد[4].

وبعد سنوات قليلة عهد الملك الحسين بن طلال لرئيس الديوان الملكي الشريف عبدالحميد شرف بتأليف الحكومة بتاريخ 19 كانون الأول 1979[5]، وجاءت كوّنة من ثلاث وعشرين حقيبة وزارية، وضمت لأول مرة وزارة جديدة للتنمية الاجتماعية، تولتها السيدة أنعام المفتي (1929-

(1) انظر، عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص21. Patrick Seale: The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd Al hamid Sharaf,p14.

(2) عبدالحميد شرف، الرجل والموقف، ص 22.

(3) أبو عوده، عدنان، يوميات عدنان ابو عوده، 1970-1988، مذكرات وشهادات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، عمان، 2017. ص430-431. وسيشار له فيما بعد، أبو عوده، يوميات. وأنظر، عزالدين، عبدالحميد شرف، ص 51.

(4) أبو عوده ، يوميات، ص230-231.

(5) أنظر نص كتاب التكليف السامي لدولة سيادة الشريف عبدالحميد شرف، بتاريخ 19 كانون الأول 1979، عشرة أعوام من الكفاح والبناء، مجموعة خطب، جلالة الملك الحسين بن طلال المعظم، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، من سنة 1977 الى سنة 1987، جمع وإعداد وتحرير، الأستاذ الدكتور علي محافظة، مركز الكتب الأردني، 1988. ص147-149. وأنظر، موقع رئاسة الوزراء الالكتروني، http://www.pm.gov.jo/byFormationDate

2018م)، كأول سيدة أردنية تحمل حقيبة وزارية في تاريخ الدولة الأردنية[1]. ويذكر أن عبدالحميد شرف كان متحمسا ومؤيدا لتعيين المرأة في المجلس الوطني الاستشاري. [2]

شرف والشؤون الأردنية

يعد البيان الوزاري لحكومة عبدالحميد شرف، الذي قدّمه للمجلس الوطني الاستشاري بتاريخ 1979/12/24م، وثيقة فكرية سياسية تعبّر عن السياسة العامة للدولة وللحكومة، وبالتأكيد فيه بصمة شخصية لرئيس الحكومة، وما يؤمن به من أفكار، وما يتطلع الى تحقيقه من مشاريع في الحياة الأردنية بكل مجالاتها. وفي المجمل كان عبدالحميد شرف برأي باتريك سيل، يؤمن بأن الأردن الصغير بحجمه، لا بد أن يتميز بطموحاته وأهدافه الكبيرة، التي يجب أن تسمو فوق مشاكله وهمومه اليومية[3]. وسنتوقف في هذا البحث عند أبرز مضامين البيان حيثما دعت الحاجة [4].

وكان لحكومة عبدالحميد شرف نكهتها ونهجها في التعامل مع القضايا والشؤون العامة، وعلى الرغم من قصر عمرها، فأنها قدمت أفكاراً وممارسات جديدة في الحياة السياسية الأردنية. فقد رفعت شعار "ترشيد الاستهلاك"، وسعت لتغيير الثقافة الاستهلاكية السائدة في الحياة الأردنية، سواء في الجانب الرسمي أو في الجانب الشعبي والثقافة المجتمعية. واتخذت قرارا بتخفيض النفقات الجارية في ميزانية الدولة بنسبة 10%. وكان ذلك القرار بمثابة رؤية بعيدة النظر لتفادي الوقوع في المديونية والتضخم والمشكلات الاقتصادية المركبة، التي لم تلبث أن ظهرت بعد تسع سنوات[5]، وانفجرت في أحداث الجنوب في نيسان 1989، وأطاحت بالحكومة حينها، ووضعت البلاد على أبواب مرحلة جديدة فيها الكثير من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية[6].

(1) الوثائق الأردنية، الوزارات الأردنية (1921-1993)، دائرة المطبوعات والنشر، عمان 1993. ص 117-118. وأنظر، موقع رئاسة الوزراء الالكتروني، http://www.pm.gov.jo/selectGov/24-1

(2) أنظر شهادة السيدة بثينه جردانه. " عبدالحميد شرف، قراءة في سيرته وتجربته"، وقائع الندوة التي نظمها المركز الاردني للدراسات والمعلومات بالتعاون مع وزارة الثقافة، عمان، 1996، تحرير بلال التل وآخرون.ص265.

(3) Patrick Seale: The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd Al hamid Sharaf,p1-2.

(4) أنظر البيان الوزراي لحكومة عبدالحميد شرف، عبدالحميد شرف، الرجل والموقف، ص85-95.

(5) الموسى، سليمان، تاريخ الأردن في القرن العشرين 1958-1995، الجزء الثاني، مكتبة المحتسب، عمّان، الطبعة الأولى، 1996، ص546. وسيشار له فيما بعد، الموسى، تاريخ الأردن.

(6) نادى عبدالحميد شرف بجملة من الأفكار والسياسات تحت شعار ترشيد الاستهلاك، وما عنته من تخفيف الأعباء على الموازنة العامة، وضبط النفقات غير المبررة، في وقت كان الأردن في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات يستهلك أكثر من ناتجه المحلي، وقد أدى هذا الى الاستدانة من العالم الخارجي للوفاء بمتطلبات الاستهلاك، والإنفاق العسكري، لمواجهة التهديدات العسكرية الاسرائيلية التي كان الأردن يواجهها، وأن الأردن وصل عام 1989 الى مرحلة عدم القدرة على خدمة الدين الخارجي، إذ وصل الى حوالي 190% من الناتج المحلي الاجمالي، أنظر ، سامي قموه، "التنمية الاقتصادية عند عبدالحميد شرف"، ورقة مقدمة في ندوة " عبدالحميد شرف، قراءة في سيرته وتجربته، وقائع الندوة التي نظمها المركز الاردني للدراسات والمعلومات بالتعاون مع وزارة الثقافة، عمان، 1996، تحرير بلال التل وآخرون، ص202-204. سيشار له فيما بعد، قمو، التنمية الاقتصادية.

نجد البيان الوزاري لحكومة عبدالحميد شرف يستشرف المستقبل، ويشير إلى أن الأزمة بدأت تطل برأسها "فإن هذه الحكومة تعي بعمق، أن مجتمعنا يسير في اتجاهات استهلاكيه خاطئة، لا تتناسب مع شروط التنمية المتوازية، ولا مع ظروف مواجهتنا الوطنية والقومية مع دولة العدوان أمامنا، وضغوط الوضع الدولي من حولنا، ولذلك فإن الحكومة تعلن من الآن أنها وهي تعمل على دراسة مشكلاتنا الاقتصادية والتنموية، وعلى معالجتها سوف تواجه الشعب الذي تحبه وتؤمن به وتنبع منه، بواجباته تجاه مستقبله وتجاه قضيته الوطنية؛ فالاقتصاد الوطني لا ينمو وحده بشكل تلقائي، ولا بمجهودات الحكومة معزولة عن الشعب، وواجباته تجاه التنمية، إن مجتمعنا يعيش في مناخ من الاسترخاء والفوضى الاستهلاكيه يتطلب تبديلا عميقا، إن موارد الدولة المحلية، أي موارد الدولة التي يتحمل تكوينها المواطنون مباشرة تقصر كثيراً عن نفقات الدولة في مجال الخدمات والحفاظ على جيش قوي مجهز، ولقد زادت مسؤوليات الدولة خلال السنين الأخيرة تجاه الخدمات الاجتماعية بحيث أصبحت تزيد كثيرا عن قدرتها. التعليم والصحة والمواصلات والنقل ودعم التموين والكهربة والأمن والاسكان كلها خدمات تتزايد باستمرار ولا مجال لاستمرار الدولة في تأديتها بشكل معقول الا اذا تعاون المواطنون مع الدولة في تغيير نمط الحياة الاستهلاكي المنفلت، وبحيث يتوجه الاقتصاد الوطني للأولويات الصحيحة وللانتاج ولضبط الاستهلاك وللحد من الكماليات والتعاون على تنمية موارد الدولة بمثابرة وثقة متبادلة وبنظرة بعيدة للمستقبل"[1]. ومضى البيان الوزاري لحكومة عبدالحميد شرف يوضح غايات السياسة الرامية الى وضع حد للاختلالات الاقتصادية والمالية المتفاقمة بمرور الزمن، وحدد مجالاتها في سياسة الإنفاق والموازنة، وضبط التضخم وارتفاع الأسعار، والسياسة التموينية والزراعية، وتنظيم السياسة الضريبية والجمركية، وإدارة المشروعات الإنمائية الكبرى، وإعادة النظر في تطبيقات الخطة التنموية وتصويبها. وبيّن أن الحكومة ستتوجه للشعب من خلال مؤسساته ببرامج تفصيلية حول هذه القضايا لتطلب منه العون والدعم والمشاركة[2].

ويوضح مضمون شعار "ترشيد الإستهلاك"، ومنهجيته وبيئته ودوافعه وأهدافه، السكرتير الاقتصادي لحكومة عبدالحميد شرف، رئيس الوزراء لاحقا، الدكتور فايز الطراونه (1949-) "أبدى الشريف تخوفه من أن المساعدات العربية للأردن، والتي تقررت في مؤتمر القمة ببغداد في أعقاب معاهدة كامب ديفيد، قد تفاقم التشوهات الهيكلية في الاقتصاد الوطني في حال لم يحسن استغلالها. وكانت قيمة تلك المساعدات المنتظرة (12) مليار دولار على مدى عشر سنوات. وقد تبنى الشريف عبدالحميد شرف فلسفة ترشيد الاستهلاك، ذلك لأن النمط الاستهلاكي السائد لا يناسب دولة نامية كالأردن، فهو يعادل الناتج الاجمالي تقريبا، ما يعني أنه لن يبقَ شيء يذكر للادخار المحلي، وأنه لولا تحويلات العاملين من الخارج، لكان الادخار الوطني صفرا. وبرأي شرف، فإن الحد من الاستهلاك بترشيده هو الخطوة الأولى باتجاه تعظيم الاعتماد على الذات،

(1) أنظر البيان الوزاري لحكومة عبدالحميد شرف، عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص90-91.
(2) المرجع نفسه، ص 91.

والذي لا يعتبر نهجا اقتصاديا فقط، بل هو نهج سياسي ايضا. هذا الشعار الواقعي والمهم صار مدار تندر في أوساط أولئك الذين لا يريدون تغيير نمط الحياة بتعقيل الاستهلاك العام والخاص"(1).

ومن الواضح أن عبدالحميد شرف يؤمن بضرورة مشاركة المواطن في صناعة القرار والمستقبل، وهذا ما عبّر عنه فكريا ومارسه سياسيا. ففي البيان الوزاري للحكومة يوضح شرف إيمانه بضرورة تطوير عرى الثقة المتبادلة بين الدولة والشعب، "ان الحكومة تعي وعيا عميقا بأن أهم قضية للحكم هي صلته بالشعب وتفاعله معه وتمثيله لآماله وطموحاته، ولذلك فستبذل الحكومة كل جهدها لفتح الحوار والتفاعل مع الشعب، وستجعل من جوهر سياستها اطلاع المواطنين على الحقائق الرئيسة، التي تتعلق بالأوضاع الداخلية والخارجية والمسؤوليات، التي تواجه الحكومة مع الشعب والمشكلات، التي تصطدم بها المسيرة. وستسعى الحكومة لازالة جيوب عدم الثقة ورواسب الشكوك التي لايمكن لأحد أن ينكر وجودها، والتي فرضتها تقلبات ظروف البلاد والوطن العربي، وقصور المؤسسات الوطنية، ومؤثرات التشكيك والدسّ الخارجية"(2). وبرأي وزير الدولة لشؤون رئاسة الوزراء في حكومة عبدالحميد شرف، وصديقه منذ مرحلة الدراسة الجامعية؛ المهندس علي السحيمات، فإن عبدالحميد شرف " كان من دعاة المشاركة الشعبية في اتخاذ القرارات وعدم الوقوف عند الآثار التي خلّفتها أحداث الخمسينيات وحرب عام 1967م، وأحداث عام 1970م المؤلمة. إذا لا بد من مراجعة الأوضاع الاستثنائية، التي استدعتها تلك المحطات، وأخذ العبر والدروس منها واستئناف النشاط الشعبي ونشاط الحركات السياسية بشكل مكشوف، ومشروع، وتحت ضوء الشمس؛ فكانت البداية بالمجلس الوطني الاستشاري، الذي كان يتمتع بكافة صلاحيات المجلس النيابي باستثناء حجب الثقة عن الحكومة، كمرحلة انتقالية للعودة للحياة الديموقراطية البرلمانية بعد انجاز معالجة تمثيل الضفة الغربية المحتلة، وقد جرى اختيار أعضاء المجلس الوطني الاستشاري ليمثل بأعلى قدر ممكن المناطق وشرائح المجتمع واتجاهاته الفكرية والسياسية المختلفة"(3)

وفي رواية لأحد أعضاء المجلس الوطني الاستشاري؛ فإن فكرة ميلاد المجلس لملء الفراغ التشريعي الناجم عن غياب مجلس النواب، بسبب صعوبة إجراء الانتخابات في الضفة الغربية في ظل الاحتلال، "كانت من بنات أفكار عبدالحميد شرف، وقبلها الملك الحسين وطورها"(4).

---

(1) فايز الطراونه، في خدمة العهدين، سيرة ومذكرات، الآن ناشرون وموزعون،عمان، الطبعة العربية الأولى، 2019، ص84.وسيشار له فيما بعد، الطراونه في خدمة العهدين.

(2) أنظر نص البيان الوزاري لحكومة عبدالحميد شرف، عبدالحميد شرف الرجل الموقف، ص 92.

(3) علي السحيمات، "عبدالحميد شرف وتجربته في ادارة الدولة"، ورقة مقدمة في ندوة " عبدالحميد شرف، قراءة في سيرته وتجربته، وقائع الندوة التي نظمها المركز الأردني للدراسات والمعلومات بالتعاون مع وزارة الثقافة، عمان، 1996، تحرير بلال التل وآخرون، 112-113.سيشار له فيما بعد، السحيمات، إدارة الدولة.

(4) انظر شهادة محمود الشريف وزير الاعلام الأسبق، وعضو المجلس الوطني الاستشاري، مداخلة في ندوة " عبدالحميد شرف، قراءة في سيرته وتجربته، وقائع الندوة التي نظمها المركز الاردني للدراسات والمعلومات بالتعاون مع وزارة الثقافة، عمان، 1996، تحرير بلال التل وآخرون، ص 91.

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 36 [2022], Iss. 9, Art. 5

وقد أنعشت حكومة عبدالحميد شرف أجواء الانفتاح السياسي والتطلع الى مرحلة سياسية جديدة، تعزّز المشاركة الشعبية في صناعة القرار وإدارة شؤون الدولة، "وقد اتسعت الحوارات بين القوى السياسية في الأردن حول نية الحكومة السماح بالعمل الحزبي بعد أن تقرر تجميده في النصف الثاني من الخمسينيات، إلا أن هذه الحوارات لم تدم طويلا، فقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يتوفى الشريف عبدالحميد شرف 3 تموز 1980"[1]

ومما يعزز القول بإيمان عبدالحميد شرف وحكومته بروح الانفتاح السياسي أنه بتاريخ 19 كانون الثاني 1980م صدرت إرادة ملكية بالعفو عن عدد كبير من السجناء، وشمل قرار العفو تخفيف عقوبة السجن الى النصف بالنسبة لبعض المحكومين، وإطلاق سراح البعض الآخر على الفور، وقد شمل الافراج 800 سجين[2]. ويرى وزير الأعلام في حكومة عبدالحميد شرف الدكتور سعيد التل "إن وفاة عبدالحميد شرف، أخّرت متابعة المسيرة الديمقراطية في الأردن، عشر سنوات، من سنة 1979 الى سنة 1989م"[3] وكان البيان الوزاري لحكومة عبدالحميد شرف، قد عالج مسألة الانفتاح السياسي، وعبّر عن قناعات رئيسها بأهمية المشاركة السياسية للمواطنين، وقد خاطب شرف المجلس الوطني الاستشاري؛ "فإننا نأمل أن نتمكن، من خلال الحوار معكم ومع التيارات الفكرية المسؤولة في المملكة، من تطوير صيغ المشاركة الشعبية في صناعة مستقبل الوطن وتوجيه إدارته. وبهذه المناسبة أحب أن أقول بأن الحكومة تعتبر تجربة المجلس الوطني الاستشاري تجربة ريادية ناجحة، وتحترم إنجازات المجلس في تمثيل مشاعر وطموحات ومطالب المواطنين وفي تصويب وترصين التشريعات، التي تضعها الحكومة بين يديه، وفي إعطاء الوطن منبراً حراً مسؤولاً لمناقشة قضايا مجتمعنا وأمتنا وبلورة تفكيرنا الوطني حولها. وسنتشاور مع أعضاء المجلس الكريم حول سبل تطوير هذه التجربة الناجحة نحو الأحسن ونحو الأمثل[4].

وفي مشروع الاصلاح الذي آمن به شرف يأخذ المواطن دوره الرئيس في كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان إيمانه قويا بأن الاصلاح الاجتماعي هو السبيل لتحقيق جوانب الاصلاح كلها، وهنا، نجد البيان الوزاري يعلي من أهمية التخطيط الاجتماعي المتوازن الذي يوازي ويكمل التخطيط الاقتصادي. والمشاركة الشعبية في نظر عبدالحميد شرف لا تتوقف على المشاركة السياسية، بل تمتد الى عمق مفهوم المشاركة العامة، ومن أبرز جوانبها، الحكم المحلي بحيث يكون التنظيم اللامركزي أساسا له ويكون موجها لنشر الخدمات والتوزيع السكاني على أرجاء المملكة لا حصر ذلك في المدن، ولاشراك المواطنين في القرارات المتعلقة بحياتهم[5].

(1) الطراونه، في خدمة العهدين، ص87.
(2) الموسى، تاريخ الأردن،ج2، 546. وأنظر، حول رأي عبدالحميد شرف في أسباب ومعاني هذا العفو الذي نسبه للملك حسين بن طلال تحديدا، وليس للحكومة، وإن كان أظهر تأييده لهذا العفو، وأنه كان قد زار السجون، ووجّه بضرورة تحسين ظروف السجناء. قموه، التنمية الاقتصادية، ص 191-192.
(3) أنظر، د. سعيد التل، مداخلة في ندوة " عبدالحميد شرف، قراءة في سيرته وتجربته"، وقائع الندوة التي نظمها المركز الاردني للدراسات والمعلومات بالتعاون مع وزارة الثقافة، عمان، 1996، تحرير بلال التل وآخرون، ص 105.
(4) أنظر نص البيان الوزاري لحكومة عبدالحميد شرف، عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 92.
(5) المرجع السابق، ص 91.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol36/iss9/5

وهذا يستوجب تعاون المواطنين في الاستهلاك الرشيد والانسجام مع مقتضيات الظروف الاقتصادية للبلد والعودة للأرض وللزراعة ، ومساهمة المواطنين في تأمين الموارد المحلية بانتظام وانضباط، وفي طليعة ذلك أداء الضريبة بطوعية وأمانة، كما أن تطوير التعليم وتنظيمه يقتضي تعاونا مع المواطنين في قبول الأولويات الصحيحة والضوابط، التي يفرضها التخطيط السليم للتعليم وتأهيل القوى البشرية[1]. وعبّر عن قناعته بأن نظام التعليم هو بوابة رئيسة للاصلاح العام، وأنه يحتاج الى اعادة تقييم واعادة تنظيم عميقين، مبديا قلقه من الاقبال الهائل على التعليم الجامعي. مما يتطلب مراجعة " تجربتنا التعليمية ثم العمل على اعادة توجيه التعليم بحيث نتناول إعادة تنظيم مضمون التعليم وسياسته معا. وسيكون الهدف تحقيق ربط التعليم بتخطيطنا الانمائي وتخطيطنا في مضمار القوى البشرية، وبذلك نسير بتعلمينا الى خارج دائرة الانفلات والفوضى والاندفاع الضار نحو التعليم النظري، لنستبدل ذلك بسياسة تراعي التطور المتوازن للمجتمع واحتياجات فعالياته الاقتصادية المختلفة"[2]

شرف والقضية الفلسطينية

تفتّح وعي عبدالحميد شرف على قضية فلسطين في مقتبل العمر، بفعل خصوصية الانتساب الى أسرة عربية قادت الثورة العربية الكبرى، وساهمت في صناعة تاريخ العرب المعاصر، وأسّست ممالك تولت حكمها في الحجاز، وسوريا، والعراق، والأردن؛ فكان عبدالحميد شرف قريباً من دوائر صنع السياسة والقرار منذ بواكير صباه، إضافة الى مؤثرات البيئة العربية العامة، وما اتصل به من وعي سياسي في سنوات الدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت، وانخراطه في حركة القوميين العرب، كما أن أطروحته للحصول على درجة الماجستير حول تطور القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة، فتحت أمامه المجال لدراسة هذه القضية دراسة منهجية بإشراف الأستاذ وليد الخالدي، كما جاءت أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في مجال العلاقات الدولية، في جامعة جورج تاون (Georgetown University) حول مهمة يارنغ كنموذج للوساطة الدولية، التي لم يستكملها بسبب ظروف عمله، لتعزز قدراته للدفاع عن الحق الفلسطيني في مختلف مراحل عمله السياسي والدبلوماسي[3].

كما أتاح له عمله في وزارة الخارجية الأردنية مديراً لإدارة الشؤون العربية والفلسطينية فرصة الاطلاع عن كثب على كل الأوراق والوثائق والدراسات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وقد منحته دراسته للقضية الفلسطينية، وأبعادها القانونية والدولية والانسانية خلال هذه الفترة، الأرضية الصلبة التي وقف عليها سفيراً للأردن في واشنطن، وفي الأمم المتحدة فيما بعد[4]. وكان لثقافته العميقة في القضية الفلسطينية وتطورها التاريخي وجوانبها القانونية، أعمق الأثر في تمكينه من العمل الدبلوماسي المؤثر "فقد استطاع خلال السنوات التي قضاها هناك، أن يكسب الكثير من

(1) المرجع السابق، ص 87.
(2) المرجع السابق، ص 89.
(3) عزالدين، عبدالحميد شرف، ص44-45. وانظر، عبدالحميد شرف الرجل والموقف ص 21.
(4) عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 17.

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 36 [2022], Iss. 9, Art. 5

الأنصار والأصدقاء للأردن وللحق الفلسطيني، وخاصة من بين رجال الأحزاب السياسية وموظفي الحكومة والصحافة والرأي العام"[1]. ومن على منبر الأمم المتحدة دافع بالمنطق المقنع والحجة الدامغة عن حقوق الشعب الفلسطيني وكشف مطامع اسرائيل[2].

وكان عبدالحميد شرف يتناول في كل مناسبة "القضية الفلسطينية بالتحليل والشرح مبينا أخطار التوسع الاسرائيلي على الوجود والحضارة العربية، مدافعاً عن حق شعب فلسطين في استرداد وطنه، وتقرير مصيره"[3] وكان يضع الخطر الصهيوني ومسألة الصراع العربي – الاسرائيلي في مقدمة التحديات، التي تواجه العالم العربي، إذ يرى أن؛ "الحديث عن القضايا التي يجب أن تكون محور الاهتمام والتخطيط والجهد العملي العربي يفتح رأسا ملف الصراع العربي – الاسرائيلي"[4] فهو مؤمن بعمق التأثيرات التي طبعتها القضية الفلسطينية على الواقع العربي، وأن "المجابهة التاريخية العربية – الصهيونية حكمت في ربع قرن – أو لعله نصف القرن الأخير علاقات العرب بأنفسهم وبالعالم"[5] ومن مؤشرات هذا التأثير أن العرب وهم يفتحون أعينهم على عالم القرن العشرين، فاذا بهم "يصارعون هجمة ديموغرافيه عدوانية فتّاكة، تستهدف أرضهم أو بعض أرضهم، وتسعى للسيطرة على مصيرهم السياسي والاقتصادي وراء هذه الأرض المحتلة، وهم في مطلع عهدهم بالتنظيم الاجتماعي والاقتصادي وبناء أسس الدولة الحديثة"[6].

وكانت النتيجة أن "هذا الخطر الديناميكي الداهم استنفر العاطفة والفكر العربيين طوال العقود الأخيرة، واستنزف الكثير من طاقاتهم الايجابية في الصراع المرير الذي يمسّ المصير والوجود الحضاري"[7]. وحاول عبدالحميد شرف تفسير أو فهم أسباب هزيمة العرب في فلسطين، ذاهباً في اتجاه النقد الذاتي، وتشريح الواقع العربي المنتج للهزيمة، التي برأيه "لم تصنعها الخيانة ولا التآمر الاستعماري، ولو وجدا، وإنما صنعها الضعف العربي الشامل على كل صعيد، وهو ضعف حال دون قدرة العرب على مواجهة التحدي العدواني الصهيوني بكفاءة ونجاح، مهما التمس البعض من أعذار وتبريرات فإن الحقيقة تظل أن المجتمع العربي آنذاك كان مجتمعاً متخلفاً في كل مظاهره: في ثقافة واطلاع قياداته، في وعي وحس سياسييه، بمسؤوليه، في معرفته بالتكنولوجيا الحديثة، وسيطرته على الصناعة، في تنظيم وكفاءة وانضباط جيوشه، في قوة مؤسساته السياسية، في مدى سيطرة العقل المخطط العصري على المجتمع والدولة، وهذه حقيقة اجتماعية حضارية تتجاوز البعد السياسي للمشكلة"[8].

(1) المرجع السابق، ص20.
(2) المرجع السابق، ص22-23.
(3) المرجع السابق، الرجل والموقف ص 23.
(4) عبدالحميد شرف، الأولويات العربية، محاضرة ألقيت في عمان، 1974، منشورة في، عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 40. سيشار له فيما بعد، عبدالحميد شرف، الأولويات العربية.
(5) المرجع السابق، ص 40.
(6) المرجع السابق، ص 40.
(7) المرجع نفسه، ص 40.
(8) عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 67.

ويخلص الى أنه "ما لم ينجح العرب في محاصرة هذا الخطر التوسعي الفتّاك، وإنهائه كخطر مباشر، فلن يستطيعوا أن يتصرفوا بعقل وبحرية لبناء مجتمعاتهم أو مجتمعهم الموحد. ما لم ينجح العرب المعاصرون في محاصرة هذا العدوان المتقدم وإنهاء أخطاره فسيظل عقلهم السياسي ينزف وعلاقاتهم ببعضهم يحكمها التناقض والتوتر والغضب، وعلاقاتهم بالعالم تسمعها الأمم، وتظلمهم وغضباتهم وخوفهم وتأرجحهم بين الاسترضاء والثورة[1].

ولا مفر في رأيه أمام العرب، لمواجهة الخطر الصهيوني، من أن يتوجه اهتمامهم المباشر "للعمل الموحد الذي يضبطه العقل والاخلاص لمواجهة الصراع مع اسرائيل، وردع الخطر الاسرائيلي وحسم هذا الصراع، ضمن إطار مرحلي مدروس، لمصلحة المصير العربي وسلامة الوجود الحضاري التاريخي للعرب"[2]. وآمن شرف بأن "قضيتنا هذه لن تحرز تقدما مضطردا حقيقيا الا حين يتحرك الوطن العربي باتجاه العقل والتنظيم والقوة والقدرة على الحسم"[3].

وفي أجواء رفض الأردن والعرب لاتفاقية كامب ديفيد، وقرار مقاطعة مصر، ألقى عبدالحميد شرف محاضرة في تشاتام هاوس (المعهد الملكي البريطاني للشؤون الدولية) (Chatham House) بلندن كان عنوانها "البحث عن السلام في الشرق الأوسط من وجهة نظر الأردن"، بيّن فيها مطامع اسرائيل التوسعية على حساب الأراضي العربية، ومبررات رفض مفاوضات كامب ديفيد، وأبدى قناعته بأن إسرائيل غير راغبة في تحقيق السلام الشامل والعادل. وفي هذه المحاضرة بلور نظرته لقضية الصراع العربي الصهيوني بأنها ليست قضية صراع مصالح بين شعوب، يمكن حلها عن طريق الوساطة والصلح، بل هي قضية تعكس ظاهرة غريبة وشهوة مستمرة للتوسع من جانب دولة ليس لها حدود معترف بها، وتوجهها عقيدة تقوم على التعصب، في وقت تتمتع فيه هذه الدولة بدعم تكنولوجي غير محدود[4].

ولخص الموقف الأردني والعربي من مسألة السلام، بأنهم؛ "لا يعتقدون أن معاهدة السلام المنفرد بين مصر واسرائيل ستؤدي للسلام العادل والشامل، الذي تنشده شعوب المنطقة. وقال إن الحل الوحيد للنزاع الآن هو في تفهم أفضل لحقوق الشعب الفلسطيني من جانب دول الغرب، والقيام بمجهود مشترك من جميع الفرقاء من أجل سلام عادل يقوم على الجلاء الكامل وعلى احترام حقوق الفلسطينيين، وعلى التقيد بالقرارات والقوانين الدولية، كقراري 242 و338. وحدّد موقفه من فكرة السلام بين العرب واسرائيل ؛ فإذا كان " يشكل السلام في الشرق الأوسط هدفا مشروعا للعالم وهدفا مشروعا بالتأكيد لشعوب المنطلقة، فإن السلام لا يمكن أن يمد جذوره في وضع من الظلم، فلا دولة تحتل أراضي الأخرى وتتوقع من هؤلاء أن يقبلوها جارا مسالما وطيبا. والمجتمع الدولي إذ وعى هذه الحقيقة منذ أمد، قد سجلها بالقانون الدولي وقبل تطبيقها على الوضع في الشرق الأوسط. غير أن اسرائيل تتخذ الآن مظهرا مضادا لهذا المبدأ الأولي، فموقف اسرائيل

(1) عبدالحميد شرف، الأولويات العربية، ص 40.
(2) عبدالحميد شرف، الأولويات العربية، ص 40.
(3) عبدالحميد شرف، الواقع الدولي للقضية الفلسطينية، محاضرة في نقابة المحامين الأردنيين في عمان بتاريخ 1977/1/3، منشورة في، عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص24.
(4) المرجع السابق، ص24.

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 36 [2022], Iss. 9, Art. 5

اذا ما نظرنا إليه بموضوعية، يطالب العرب الاعتراف بها والتوصل إلى السلام معها وإعطائها الأمن، بينما تواصل احتلال الأراضي العربية وتنكر حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والوجود القومي"(1).

وقد عبّر عبدالحميد شرف في هذه المحاضرة عن قناعاته الشخصية، كما عن مجمل الصورة العامة للسياسة الأردنية، وقد كان أحد صنّاعها في سياق عمله رئيسا للديوان الملكي في تلك المرحلة، حينما كان ضمن الحلقة السياسية الضيقة التي بلورت الموقف الرسمي الأردني من اتفاقية كامب ديفيد، ووضعت الاطار العام لتحجيم الخسائر التي ستنال الأردن جراء موقفه الرافض لكافة أشكال الضغوط والاغراءات الأمريكية(2). ولما شكّل عبدالحميد شرف حكومته وصاغ بيانها الوزراي، أوضح السياسة الرسمية للحكومة، وفي حقيقة الأمر لم تكن مختلفة عما كان يعبر عنه من أفكار ومواقف قبل ذلك، فنجد البيان الوزاري يؤكد أن "الحكومة وفيّة على العهد الذي قطعه هذا البلد لأمته ولشعبه ولتاريخه بأن يقف الى جانب الشعب الفلسطيني والحقوق الفلسطينية، وأن يعتبر المجابهة مع العدوان مجابهة قومية شاملة نتحمل فيها مسؤولياتنا، كما تتحمل مسؤولياتها باقي دول وقوى المواجهة العربية، ومعها قوى المساندة العربية، التي تشمل الأمة بأسرها، ولذلك فإن الحكومة تدعم قرارات مؤتمري قمة بغداد وتونس، وتعمل كل جهدها على تنفيذها وتعزيزها على طريق العمل المشترك وبناء القوة العربية. ونحن نحيي، من هذا الموقع صمود إخوتنا الشجعان في الأرض المحتلة ونؤكد لهم من جديد بأن الأردن سيضل دائما الى جانبهم في كفاحهم وصمودهم حتى يتحقق لهم الخلاص وتتحقق لهم الحرية. إن سبيلنا للنصر، واقامة السلام العادل الذي يعترف بحقوقنا،هو في حسن التخطيط ووضع العقل الواعي في موضع القيادة في الأمة وتمنيع الجبهة العربية الموحدة على كل صعيد وتوثيق صلاتنا وحوارنا مع العالم لشرح قضايانا وكشف العدوان ومحاصرته دوليا"(3).

شرف والشؤون العربية

الأولويات العربية

نشأ عبدالحميد شرف منتميا للأمة العربية، مؤمنا بأهمية تضامنها، وبأن العمل العربي المشترك ضرورة، وبأنه لا مستقبل للعرب بدون وحدتهم. وليس بالمستغرب هذا الانتماء بحكم نسبه ونشأته وتكوينه وتجربته الحزبية في صفوف حركة القوميين العرب، في مرحلة الدراسة الجامعية. ولعله من المفيد التوقف عند رأي أحد أقرب أصدقائه عبر مراحل حياته كلها، مفسرا أصالة الانتماء القومي في شخصية عبدالحميد شرف " لكن عبدالحميد لم يكن يعتنق الفكر القومي

(1) أنظر، عبدالحميد شرف، " البحث عن السلام في الشرق الأوسط رؤية أردنية " محاضرة عبدالحميد شرف في المعهد الملكي للشؤون الدولية، لندن ، 1979/7/3". منشورة في عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 105-111.

(2) حول مشاركته في صناعة موقف الأردن من كامب ديفيد، أنظر، عدنان أبو عوده، الحسين وحنكته السياسية في إدارة سبع أزمات. محاضرة ألقاها في الجامعة الأردنية، بتاريخ 2 نيسان 2018. http://jcss.org/ShowNewsAr.aspx?NewsId=636

(3) أنظر نص البيان الوزاري لحكومة عبدالحميد شرف، عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 94.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol36/iss9/5

بحكم انتمائه للحركة، بل كان قوميا عربيا أصيلا مؤمنا بهذه الأمة العربية وبتاريخها العريق وإنجازاتها العظيمة ومكانها البارز في التاريخ"[1]. وأفصحت كتاباته ومحاضراته وخطاباته كما البيان الوزاري لحكومته عن ما يؤمن به من فكر قومي عربي حديث منفتح على الأفكار والقراءات النقدية للتجارب الفكرية والسياسية القومية العربية المعاصرة. وفي محاضرته في عمّان "حول الأولويات العربية" عام 1974م، تحدث عن الاشكالات والتحديات والاخفاقات التي واجهت العالم العربي في العشرين سنة الأخيرة، ورسم ملامح خطة العمل المنشودة لتغيير الواقع العربي، في العشرين سنة المقبلة، وحدّد ما أسماه الواجبات العربية الخمسة المطلوبة؛ على النحو الآتي؛ بناء المؤسسات، والتربية الاجتماعية القائمة على العقلانية، وإعادة الاعتبار للقيم وللمؤسسات الديموقراطية، وتحقيق الطفرة الانمائية، وتكوين قواعد المجتمع العربي المتحد[2].

ويمكننا القول بأن هذه المحاور الخمسة شكّلت الملامح الأساسية للرؤية الفكرية التي وجّهت حركة عبدالحميد شرف السياسية. ولو حللنا البيان الوزاري لحكومته بعد خمس سنوات من هذه المحاضرة، ولو تفحّصنا مجمل ما قدمه من أفكار خلال عقد السبعينيات من القرن الماضي، التي شكلت سنوات العطاء السياسي والفكري معا في حياته، لوجدناها تدور حول المحاور الخمسة ذاتها.

بناء المؤسسات

وعبّر شرف عن إيمانه بأن الأقطار العربية تعاني من فقدان روح العمل المؤسسيّ، كم افتقارها للمؤسسات بدرجات متفاوتة، وأن "الروابط السائدة في المجتمع العربي هي روابط العصبية التقليدية والشخصية، لا روابط المواطنة والعمل المشترك والولاء للمؤسسة المستمرة الدائمة"[3]. وقدّ أوضح أن الغاية من بناء المؤسسات تتمثل في حماية المواطن وتنظيم المجتمع.[4] معززاً إيمانه هذا بامثلة من الواقع العربي، فإذا نجحت الدول العربية في بناء الأجهزة والهياكل الادارية، نجدها فشلت في بناء المؤسسات السياسية، وهذه، هي المهمة الأصعب في نظره. والحاجة شديدة لها، لإرساء قواعد الحكم على أسس واضحة لمفهوم المواطنة ومعادلة الحقوق والواجبات.[5]

التربية الاجتماعية

تأتي التربية الاجتماعية القائمة على العقلانية، عنده، كأولوية ثانية على سلّم الأولويات العربية، وهي في نظره "مسؤولية شاملة وطويلة الأمد، تترتب على كل القيادات العربية التي تؤمن بالمستقبل العربي، حيثما كان موقعها ودورها في المجتمع. القيادات السياسية العليا أولا ومعها كل قيادة مسؤولة في ميدان من ميادين التربية والتعليم والاعلام والثقافة وكل قيادة حزبية

(1) أبو نعمه، مرجع سبق ذكره، ص 142-143.
(2) عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 41-48.
(3) عبدالحميد شرف، الأولويات العربية، ص41.
(4) المرجع نفسه، ص41.
(5) المرجع نفسه، ص41.

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 36 [2022], Iss. 9, Art. 5

أو اجتماعية تترتب عليها هذه المسؤولية"[1]. والعالم العربي عند شرف "يحتاج الى ثورة عقلية" بمعنى "إحداث تحول جذري حاسم في العقلية الاجتماعية السائدة في الوطن العربي، وفي أساليب التفكير والسلوك الاجتماعي على كل مستوى"[2].

وهذا الحال يقود شرف الى المصارحة بأننا في الوطن العربي "أسرى نظام اجتماعي فيه كثير من خصائص التخلف وكثير من القيم المتعارضة مع مستلزمات التقدم والنهضة العصرية"[3]. ولا يتوقف مفهوم النظام الاجتماعي عند عبدالحميد شرف على المعتقدات والنظام السياسي الذي يمثلها، كما يعتقد الماركسيون، بل يعني "العقلية الاجتماعية، ونظام القيم، والاتجاهات النفسية، وخصائص السلوك"[4]. منّوها شرف، "أننا في مختلف أقطارنا العربية نتحدث عن العقل والعلم، ولكننا لانعمل فعليا لاحلال العقل في مكانه المركزي في حياتنا، ساستنا لايتعاطون معه، مربونا أسرى نفس العقلية السائدة في المجتمع، وسائل إعلامنا لا صلة بينها وبين الحقيقة واحترام العقل، الأحزاب والأنظمة تغذي نزعات الهروب من الحقيقة، والتطرف الكلامي الأجوف وتبرير القصور والفشل، وتكرار أخطاء الماضي، وابتذال المعاني، والتحامل، وعدم الانصاف، ما فائدة التقدم المادي والاقتصادي"[5]. وهذا يدفعه الى المناداة بسيادة ما أسماه " قيم جديدة أساسها الواقعية، والتعامل مع الحقائق، والحس بالمسئولية تجاه الخطأ والصواب بدلا من التبرير، والمعرفة بأن النتائج مرتبطة بالأسباب وخاضعة للإرادة الإنسانية. هذه القيم الجديدة يجب أن تسود الوطن العربي والقادة في كل مواقعهم، قادة السياسة وقادة الفكر وقادة التعليم والتربية والإعلام والتنظيمات الطوعية"[6].

الديموقراطية

تتعلق الأولوية العربية الثالثة باعادة الاعتبار للديمقراطية قيما ومؤسسات، لتجاوز التجارب الليبرالية والبرلمانية االعربية الفاشلة، خلال مرحلة الاستقلال، لأن الجذور الديموقراطية برأيه في بلادنا " سطحية أو مفقودة في بنياننا الاجتماعي الموروث من عصور مضت. أو ربما كان السبب أن الديموقراطية التي عرفناها خلال مرحلة الاستقلال الأولى كانت شكلا خاليا من الجوهر ومن المضمون"[7].

ويعبّر شرف عن قناعته بأنه " مع سقوط أو تآكل المؤسسات البرلمانية في البلدان العربية منيت قيم الديموقراطية والدستورية والحرية بنكسة عظيمة في الوطن العربي"[8]. وهذا يقوده الى جوهر المشكلة وأسّها، بأن " أزمة الحرية في العالم العربي ما زالت اليوم حادة شاملة في معظم

(1) المرجع نفسه، ص42.
(2) المرجع نفسه، ص42.
(3) المرجع نفسه، ص 42.
(4) المرجع نفسه، ص42.
(5) المرجع نفسه، ص42.
(6) المرجع نفسه، ص42.
(7) المرجع نفسه، ص42.
(8) المرجع نفسه، ص42.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol36/iss9/5

أرجائه. حرية الفكر والحوار معدومة أو مقيدة الى درجة تقضي على معناها. الحقوق الدستورية للمواطن لا تملك القدسية، التي لا قيمة لها بدونها. كرامة المواطن الفرد ثانوية. القضاء جهاز لا مؤسسة اجتماعية ملتحمة بحقوق الانسان الحر في مجتمع متحضر. الأجهزة البوليسية لا يحكمها أو يلجمها القانون. الحقوق والحريات المدنية الأولية لا يحميها القانون ولا الحكم ولا الرأي العام. القيم الديموقراطية تآكلت في الوطن العربي حتى اعتاد الناس على غياب تعبيراتها ومؤسساتها"[(1)].

وهذا الحال يدعوه الى التأكيد بأن " العرب بحاجة الى انتفاضة كبرى باتجاه القيم الديموقراطية، كرامة المواطن الفرد، حرياته الأساسية، الحوار الحر المسؤول حول كل قضية عامة، القضاء النزيه المستقل المستنير، القانون السيد اللامنحاز، المؤسسات التمثيلية المعقولة النابعة من ظروف المجتمع وواقعه، والتي يحرسها إيمان كل من يشارك فيها بالقيم الديموقراطية الإنسانية الأصلية"[(2)].

التنمية الاقتصادية

تأتي التنمية الاقتصادية رابعاً، على سلّم الأولويات العربية عند شرف، فقد آمن بأن "مصلحة العرب قوميا ومصلحتهم في أقطارهم المنفردة هي في تخطي النظريات النهائية القاطعة في التنظيم الاقتصادي، والأخذ بالإسلوب العملي التجريبي في تحقيق النمو والتقدم المنشودين. نظرية النظام الاقتصادي الحر بمفهومها الكلاسيكي تلاشت ولم تعد قائمة. الدولة دخلت بنسب متفاوته في الدول الرأسمالية التقليدية لتوجيه النشاط الاقتصادي وضبط قضايا الاستثمارات والعمالة والحد من جموح عنصر الربح غير المسؤول وتوفير الخدمات العامة والمساهمة في تحديد الأولويات الوطنية"[(3)] كما يرى أن "النظم الاقتصادية الموجهة توجيها كاملا فتحت أنفسها اليوم لحوافز الربح والمنافسة وتسعى لمعالجة أمراض البيروقراطية والمركزية الخانقة والطبقية الجديدة. باختصار العالم العربي يجب أن يواجه اليوم قضية الانماء بذهنية مفتوحة وتحرر من مركبات الايدولوجيات المتعصبة وبحساسية للحاجات الحقيقية وللواقع الموضوعي." مطالبا باختيار النظام الاقتصادي المواتي للحاجات وللواقع بعيدا عن النظريات المغلقة، وأن تتكامل أدوار الدولة والقطاع الخاص، وأن الظروف الموضوعية لكل قطر عربي تقرر هذا الأمر[(4)]. كما أن مستقبل العالم العربي تحدده خيارات العرب، وانه " لن يتمكن العرب من مواجهة العالم والحضارات المعاصرة بما فيها الحضارات الطامعة أو المعادية الا بمجتمع أو مجتمعات ديناميكية صلبة القواعد تتوسل التكنولوجيا والعلم، وتستند لطاقات اقتصادية مجندة تجنيدا كاملا تضمن مستوى معيشة عاليا ومتصاعدا للشعوب، واكتفاء ذاتيا بقدر ما يمكن لهذا المفهوم الأخير أن يتحقق"[(5)]

---

(1) المرجع نفسه، ص42.
(2) عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 43-44.
(3) عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 44.
(4) عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص45.
(5) عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 45-46.

الوحدة العربية

وتأتي مسألة الوحدة العربية في الختام، على سلّم عبدالحميد شرف للأولويات العربية، مما يعني أن شروط تحققها في الواقع العربي، يجب أن تسبق الحلم العربي بها. لذا نجده يتحدث عن الوحدة العربية تحت عنوان لا يخلو من الدلالات " تكوين قواعد المجتمع العربي المتحد". معللا موقفه هذا بأن "فكرة الوحدة العربية لا تستطيع العيش والنمو على رصيد الوجدانية والعاطفية. العاطفة القومية العامة ضرورة ومهمة في بناء الولاء للفكر، ولكنها لا تكفي لبناء قواعدها الصلبة المتنامية. حول هذه العاطفة العربية العفوية يجب بناء مؤسسات عملية تشد المصالح لبعضها وتمتن روابط الاتحاد التدريجي الواقعي المتين. ليس هذا لأن طريق الوحدة العربية هو طريق التدرج والواقعية والحسابات الدقيقة فحسب، وإنما لأن الظروف التاريخية أصبحت تقتضي بناء مؤسسات الاتحاد العملية، حتى لو لم يكن هناك أساس عاطفي قوي لها وهو أمر متوفر طبعا"[(1)] والسبيل الى الوحدة العربية في نظره يتطلب من القيادات السياسية في العالم العربي الفصل "بين عوامل السياسة اليومية المتغيرة مهما بدت مهمة ظاهريا، وبين مصالح الشعوب العربية الكبرى الدائمة. فاذا نظر العرب الى وطنهم الكبير كوحده جغرافية واقتصادية وبشرية واحدة وسعوا لبناء مؤسسات وأجهزة العمل المشترك لاستغلال مصادرهم الطبيعية وتجنيد رأسمالهم وكفاءاتهم وتوزيع اختصاصهم وأدوارهم في إطار السوق العربية الأوسع، فإنهم سيجدون هذه الطريق أصلح طريق لبناء أقطارهم المتعددة مع إرساء أسس وحدتهم المشتركة"[(2)].

ومما يكشف عن الترابط الوثيق بين الفكر والممارسة في شخصية عبدالحميد شرف، ما يرويه عدنان أبو عوده رئيس الديوان الملكي الأردني الأسبق، عن تفاصيل إحدى جلسات مباحثات مشروع الاتحاد بين الأردن وسوريا، وكان الجانب الأردني يتألف من رئيس الوزراء الأردني مضر بدران، وعبد الحميد شرف الذي كان حينها يشغل موقع رئيس الديوان الملكي، وعدنان أبو عوده وزير الثقافة والاعلام وقتها. أما الجانب السوري فقد كان برئاسة عبدالرحمن خليفاوي، وعضوية عبدالحليم خدام، وفوزي الكيالي. وفي جلسة مباحثات عقدت يوم 1977/1/5م في عمان، كان الوفد السوري متشوقا الى استعجال التنفيذ، في حين قدم شرف طرحاً عقلانياً للمسألة، وتساءل هل سيكون الاتحاد بين القطرين نواة لاتحاد عربي كبير في المستقبل. وهذا يحتاج خطة عمل وجدول زمني، وأن يكون مبنياً على المؤسسات، وعلى الثقة المتبادلة، والحكمة السياسية. وتحدّث عن إخفاق التجارب الوحدوية العربية السابقة لأنها، إما قفزت فوق الحواجز أو كانت مائعة، أو لعدم قدرة القادة السياسيين على الاستمرار بسياساتهم، أو عدم وجود الإرادة لتحويلها إلى مؤسسات عمل. وتحدّث عن ضرورة السير بمراحل، تبنى فيها سلطات الاتحاد بشكل متصاعد. وأنه لا بد

(1) عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 46.

(2) عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 46.

أن "نسير بمراحل وخطوات صحيحة، وثقة نحو الهدف، حتى لا نفجع المواطن في ما لو أعلنا الاندماج الشكلي، وأخفقنا في التنفيذ"[1].

وفي سياق المواءمة بين الفكر والسلوك السياسي، نقرأ في البيان الوزاري لحكومة عبدالحميد شرف ما يوضح مفاهيم العروبة والقومية والوحدة والتقدم في فكره، حينما يقول: "الأردن أصيل في عروبته، ملتحم بالتراث الروحي والتاريخي، ولذلك فستتابع الحكومة الخط العربي الواعي الملتزم، الذي ينبع من قلب الكيان العربي وسد الثغرات التي تنشأ فيه، بكل إخلاصها وبكل عزمها. ستدعو باسم الأردن الدول العربية الشقيقة لخلق مناخ الحوار الأخوي والتفاهم، وفي هذا المناخ يتم التعاون والتنسيق وتعود الثقة المتبادلة، وتتمكن الدول العربية من بناء اتحادها الواعي الواقعي في مختلف ميادين الحياة القومية: الاقتصادية والعسكرية والانمائية والثقافية والسياسية"[2]. وعن علاقة الأردن بالدول العربية أوضح أنها " تستهدف بناء القوة الذاتية في كل الميادين: المادية والمعنوية، المدنية، والعسكرية. بهذه القوة الذاتية يستطيع الوطن العربي أن يواجه رياح التفتيت والتفريق التي تهب علينا أكثر من أي وقت مضى هذه الأيام، خاصة بعد أن نجحت مؤامرات التفتيت في الانحراف بالقيادة المصرية خارج العمل العربي، وإيقاعها في شرك الانفراد والتخلي عن الحقوق ضمن صيغ كامب ديفيد والانحرافات التي ترتبت عليها"[3].

التعليم والنهضة العربية

الغاية المرتجاة من إنجاز الأولويات العربية عند عبدالحميد شرف هي تحقيق النهضة العربية، والسبيل لتحقيها هو التعليم؛ لذا نجده منشغلاً بمسائل النهضة والتقدم، بل إنها أخذت جل اهتمامه. وتتلخص مسيرته الفكرية والسياسية في إنهماكه بمسألة نهضة العرب وتقدمهم. وتتدرج أسس التقدم عنده في منظومة متكاملة، محورها الإنسان الفرد؛ فهو الهدف والغاية والوسيلة في آن معاً "إن النهضة الوطنية عملية شاملة تقوم على الإنسان وتتوجه للإنسان وتتم بالانسان"[4]. واهتمامه بالدور المحوري للإنسان الفرد في حركة تقدم الأمة، قاده إلى الاعتناء بمسألة التربية والتعليم، وبضرورة إعادة النظر في النظام التربوي والتعليمي في الوطن العربي، من أجل بناء الإنسان العربي الجديد، بهدف بناء وطن عربي جديد. إيمانا منه بمحورية دور الفرد في أي عملية للنهوض الاجتماعي أو السياسي[5]. ونجده يوضح هذا الايمان بقوله: "إن تحقيق الغايات القومية الكبرى، من الوحدة العربية، إلى المواجهة المنتصرة مع العدو الخارجي، إلى إحراز القفزة التنموية الكبرى، إلى بناء المؤسسات الديمقراطية وأجهزة الحكم النزيهة العادلة لا ينفصل عن العمل بكل الوسائل

---

(1) أبو عوده، يوميات، ص 356-357. ولمزيد من التفاصيل حول مساهمة شرف في المباحثات، أنظر نص محضر جلستي محادثات الاتحاد الأردني-السوري في عمان ، آذار 1977، ص 361-383. وأنظر، بدران، مضر، القرار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى،2020، ص178-180.

(2) أنظر، نص البيان الوزاري لحكومة عبدالحميد شرف، عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص93.

(3) المرجع نفسه، ص93.

(4) عبدالحميد شرف، عودة لمسألة التقدم، بداية الطريق.. تحديد إتجاه النهضة الشاملة، جريدة الدستور، 1978/8/12.

(5) عبدالحميد شرف، الأولويات العربية، ص 42-43.

لتجنيد المواطن العربي في حركة التقدم وصناعة المستقبل، ولا ينفصل عن عملية بناء إنسان عربي جديد واع مسؤول مؤمن بالوطن وبالعمل وبالواجب"(1).

وطريق النهضة العربية الشاملة عنده واضحة ومتمثلة في تخليص عقلية التخلف والفشل العربيين اليوم من الخرافية، الشعرية، الكلامية، الاستبدادية، الفردية، فهي مكونات العقلية الاجتماعية، التي تعيق نهضتنا المنشودة، وتمزقنا، وتقذف بنا في دوامة الضياع والفشل المتكرر. سبيلنا نحو النهضة عقلية عربية تتميز بالعقلانية، بالواقعية، بالفعلية، بالتسامحية، وبالتعاونية(2).إذا فمستقبل الأمة العربية، في رؤية عبد الحميد شرف، واحد مرتبط بالعلم، "إننا جميعاً نسير في طريق واحد وهو توسع أفكارنا ومداركنا واتصالنا بالعالم، وأن يكون مستقبل العرب مرتبط بالعلم وبالتقدم العلمي وبالتكنولوجيا الحديثة وبالمفاهيم العصرية(3). ويجزم بأن التربية والتعليم هما المدخل الرئيس لتصحيح مفهوم النهضة والتقدم العربيين، وهذا يستدعي "إعادة النظر جذرياً في كل الوطن العربي، بغايات وفلسفة التعليم والتربية"(4). ويتفق عبد الحميد شرف مع القائلين " بأن التربية في الوطن العربي مفتاح التقدم والتجدد كما أنها المسؤولة عن نكساتنا الحديثة، وبطء اقترابنا من أهداف النهوض، والوحدة، والتنمية، والانتصار السياسي والعسكري ضد أعدائنا والطامعين فينا"(5) رؤية عبد الحميد شرف للتربية والتعليم من حيث الرسالة والأهداف واضحة ومحددة، إذ يقول: "التربية التي ننشد للأردن وللوطن العربي، هي هذه التربية التي تصنع مواطناً حراً، مفتوح العقل، صادق الإيمان، مؤمناً بالعمل وبالواجب"(6).

وتحذيره من فوضى التعليم والتربية جاء حاسماً، حين تساءل " هل التربية عملية حضارية تؤدي إلى التقدم؟" ويتساء مجدداً "أم أنها عمليات عشوائية لا ينتظمها فكر موحد، ولا يحكمها منهاج واضح ولا يربطها بالقيم النهائية رابط أو علاقة؟"(7). وهذه الرؤية الفكرية برزت بوضوح في البيان الوزاري لحكومته، إذ دعا إلى مراجعة شاملة لنظام التعليم الأردني" لقد تعوّدنا أن نفاخر بانتشار التعليم، وارتفاع مستواه بالنسبة للمنطقة، وبالإقبال على التعليم الجامعي. إننا الآن بحاجة لمراجعة هذه الفرضيات وإعادة النظر في تجربتنا التعليمية. ستعمل الحكومة على إعادة توجيه التعليم بحيث نتناول إعادة تنظيم مضمون التعليم وسياسته معاً. وسيكون الهدف تحقيق ربط التعليم بتخطيطنا الانمائي وتخطيطنا في مضمار القوى البشرية، وبذلك نسير بتعليمنا إلى خارج دائرة

---

(1) عبدالحميد شرف، عودة لمسألة التقدم، بداية الطريق.. تحديد إتجاه النهضة الشاملة، جريدة الدستور، 1978/8/12.

(2) عبدالحميد شرف، حول التقدم والعالم العربي، محاضرة منشورة في عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 57.

(3) عبد الحميد شرف، يخاطب الوفود العربية في الاجتماع الأول لمجلس إدارة الأكاديمية العربية للطيران المدني، جريدة الدستور، 1978/10/8.

(4) عبدالحميد شرف، عودة لمسألة التقدم، بداية الطريق.. تحديد إتجاه النهضة الشاملة، جريدة الدستور، 1978/8/12.

(5) كلمة عبدالحميد شرف في حفل تخريج المدرسة الأرثوذكسية، الأوراق الخاصة، لعبدالحميد شرف.

(6) كلمة عبدالحميد شرف في حفل المدرسة الأثوذكسية، الأوراق الخاصة لعبدالحميد شرف.

(7) كلمة عبدالحميد شرف في حفل المدرسة الأثوذكسية، الأوراق الخاصة لعبدالحميد شرف.

الانفلات والفوضى والاندفاع الضار نحو التعليم النظري، لنستبدل ذلك بسياسة تراعي التطور المتوازن للمجتمع واحتياجات فعالياته الاقتصادية المختلفة. ومن جهة أخرى سنسعى لإعادة النظر في مناخ التعليم ومناهجه، بحيث نعيد تركيز قيم المجتمع الجديد- الذي ننشد- قيم الإيمان، والعمل، وحب الوطن، وحس المسؤولية، والولاء للتراث الخير، والخلق القويم، إلى جانب الانفتاح العقلي والروح الديمقراطية المسؤولة"[1]. وعليه، نجده يوجه وزارة التربية والتعليم، لمتابعة تطبيق توجهات الحكومة الواردة في البيان الوزاري، وفي اجتماعه مع القيادات التربوية في الثاني من كانون ثاني 1980 أي بعد أيام من تشكيله الحكومة دعى إلى المراجعة الشاملة لنظامنا التعليمي والتربوي، وإلى ضرورة ربط التعليم باحتياجات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، مؤكداً أن مسيرتنا التربوية لا تتفق في بعض نواحيها مع تصور واضح لتقدمنا الاقتصادي والاجتماعي. ونبّه في هذا اللقاء إلى أهمية التوجه نحو التعليم المختلط في المراحل الابتدائية، مؤكداً أن هذا "يساعد في توفير الخدمات المدرسية لأكبر عدد ممكن من الطلبة ويخلق فيهم علاقة صحية في هذه المرحلة المبكرة. وفي هذا اللقاء طلب من وزير التربية والتعليم تقديم برنامج عمل شامل لمجلس الوزراء حول الرؤية الجديدة للنظام التربوي[2].

وفي هذا عودة لفكرته التي اقترحها في محاضرته الشهيرة أسس "التقدم السياسي والتقدم الاجتماعي" في تموز 1978 لعقد مؤتمر عربي للتطوير التربوي، تكون غايته لا الولوج في احصائيات التعليم ومعادلة الشهادات، وإنما التركيز على جانب واحد محدد، وهو كيف ينقل التعليم إلى أبنائنا وبناتنا قيم المجتمع الجديد الشجاع، الذي ننشد، وكيف يبني الشخصية المتكاملة، التي منها تخلى رواسب العيوب الاجتماعية، التي تكبل حاضرنا، وفيها تغرس مثل المواطنة الصحيحة[3]. وفي مؤتمر صحفي عقده بتاريخ 1980/2/19 يؤكد عبدالحميد شرف أن خطة التطوير التربوي التي تعكف وزارة التربية والتعليم على إعدادها ستناقش مع المواطنين ليتفهموها، وهي تتضمن إعادة النظر في المناهج التربوية وتحديثها، والأبنية المدرسية، وإعادة النظر في مجمل أحوال المعلم وتأهيله وتحسين ظروفه عبر خطة طويلة الأمد، وأن هناك توجهاً نحو تعزيز التعليم المهني والحرفي، مؤكداً أهمية تصويب اتجاهنا التعليمي بحيث نختصر عدد من يذهب إلى التعليم النظري والتوجيهي، وإنشاء مراكز للتعليم المهني والحرفي تخدم سياستنا التنموية، وهذا يحتاج إلى توجيه عام وثقافي وتعاون عام، بحيث يعرف المواطن أهمية ذلك لبناء مستقبل الأردن، من حيث بناء مواطن مؤهل ومدرب في كل قطاعات الانتاج[4].

وفي الثاني عشر من أيار عام 1980 افتتح الملك الحسين بن طلال "مؤتمر العملية التربوية في مجتمع أردني متطور" بكلمة توجيهية تحدثت عن المأمول من هذا المؤتمر تحقيقه. وجاءت التوجيهات الملكية لتدعم التوجهات والأفكار والمضامين، التي لطالما تحدث عنها عبد الحميد

(1) أنظر نص البيان الوزاري، عبدالحميد شرف الرجل والموقف ص 89.

(2) النشرة العامة، العدد، 9960، الأربعاء 1980/1/2. الأوراق الخاصة لعبدالحميد شرف.

(3) عبدالحميد شرف، التقدم السياسي والتقدم الاجتماعي، محاضرة ألقاها عبدالحميد شرف في نادي خريجي الجامعة الأردنية، تموز 1978، منشورة فين عبدالحميد شرف الرجل والموقف، ص 72-73.

(4) المؤتمر الصحفي لرئيس الوزراء عبدالحميد شرف، بتاريخ 1980/2/19، الأوراق الخاصة لعبدالحميد شرف.

شرف[1]. وكان هذا المؤتمر الأول في تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية، الذي يجيء مكرّساً لمناقشة الهموم التربوية والتعليمية، وقد شارك عبدالحميد شرف مشاركة فاعلة في أعماله، ودخل في حوارات مع الأسرة التربوية حول محاوره وفكرته. ولم يعمّر وحكومته، ليتسنى له تطبيق التوصيات.

الخاتمة

من الواضح أن مسيرة حياة عبدالحميد شرف القصيرة، تكتسب اهميتها مما قدمه الرجل من أفكار ومواقف، وما تولاه من مواقع مهمة، وما شارك فيها من أحداث. وكانت السمة البارزة لحياته هي ذاك الجدل الدائم بين الفكر والموقف.

لم يهمل عبدالحميد شرف عبر مسيرة حياته العملية والسياسية انشغالاته واهتماماته الثقافية والفكرية. وبقي حريصا على القرب من البيئة الثقافية والأكاديمية والإعلامية، وأبدى حرصه على تقديم مقارباته الفكرية الناضجة على هامش عمله السياسي، كحرصه على دمج ما يؤمن به من فكر في ثنايا عمله السياسي، وتفعيل الموقع الإداري والسياسي لخدمة القناعة الفكرية ما أمكن ذلك.

ومما يجعلنا أمام قناعة بأن عبدالحميد شرف نجح في التوفيق بين المفكر والسياسي في شخصيته، ولم يعش تناقضاً بين الفكر والسلوك، أن البيان الوزاري لحكومته جاء منسجماً مع أفكاره وقناعاته ومواقفه، ذات الأبعاد الوطنية والقومية والتنويرية التي رسمت ملامح تجربته الحياتية والسياسية، وعّبر عن ملامح شخصية صاحبه ونظرته للشؤون الوطنية والقومية بأبعادها الفكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية، كما عبّر البيان عن رؤية نقدية مقرونة برغبة في الاصلاح والتغيير وعدم الاستسلام لشروط الواقع ومحدداته وتحدياته، هذا مع مراعاة أن البيان يبقى في السياق العام لسياسات الدولة.

المصادر والمراجع

- الأوراق الخاصة بعبدالحميد شرف، محفوظة لدى أسرته. تتألف من عدد من الملفات التي تحوي بعض ما خطه قلمه، وبعض ما كتب عنه، وشيء من أخباره المنشورة. (تم الاطلاع عليها في عام 2012).
- عشرة أعوام من الكفاح والبناء، مجموعة خطب، جلالة الملك الحسين بن طلال المعظم، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، من سنة 1977 الى سنة 1987، جمع وإعداد وتحرير، الأستاذ الدكتور علي محافظة، مركز الكتب الأردني، 1988.
- النشرة العامة، رئاسة الوزراء، العدد، 9960، الأربعاء 1980/1/2.
- الوثائق الأردنية، الوزارات الأردنية (1921-1993)، دائرة المطبوعات والنشر، عمان 1993.
- أبو عوده، عدنان، الحسين وحنكته السياسية في إدارة سبع أزمات. محاضرة ألقاها في الجامعة الأردنية، بتاريخ 2 نيسان 2018.

(1) الوثائق الأردنية 1980، دائرة المطبوعات والنشر، عمان، ص 117-120.

http://jcss.org/ShowNewsAr.aspx?NewsId=636

- أبو عوده، عدنان، يوميات عدنان ابو عوده، 1970-1988، مذكرات وشهادات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، عمان، 2017.
- بدران، مضر، القرار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2020.
- التل، بلال، وآخرون (تحرير) " عبدالحميد شرف، قراءة في سيرته وتجربته"، وقائع الندوة التي نظمها المركز الأردني للدراسات والمعلومات بالتعاون مع وزارة الثقافة، عمان، 1996.
- دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، "عبدالحميد شرف الرجل والموقف"، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1990.
- فايز الطراونه، في خدمة العهدين، سيرة ومذكرات، الآن ناشرون وموزعون،عمان، الطبعة العربية الأولى، 2019.
- الموسى، سليمان، تاريخ الأردن في القرن العشرين 1958-1995، الجزء الثاني، مكتبة المحتسب، عمّان، الطبعة الأولى، 1996.
- ملك يوسف التل، سياسي يتذكر، الشريف فواز شرف.الدستور، منشور في http://stocksexperts.net/showthread.php?t=75627
- موقع مجلس الأعيان الأردني http://www.senate.jo/ar/page/
- موقع رئاسة الوزراء: http://www.pm.gov.jo

References: (Arabic & English)

- Abdul Hamid Sharaf's private papers kept by his family, and files containing some written words by Abdul Hamid Sharaf or about him, and some of the papers published about Abdelhamid Sharaf. (that was viewed in 2012).
- Abu Odeh, Adnan, Adnan Abu Odeh Diary, 1970-1988, *Memoirs and Diaries*, Arab Center for Research and Policy Studies, First Edition, Amman, 2017.
- Abu Odeh, Adnan, *Al-Hussein and his political skill in managing seven crises*. A lecture he gave at the University of Jordan, on April 2, 2018. http://jcss.org/ShowNewsAr.aspx?NewsId=636
- Al-Musa, Suleiman, History of Jordan in the 20th Century 1958-1995, Part II, Al-Mohtasib Library, Amman, First Edition, 1996.

An-Najah University Journal for Research - B (Humanities), Vol. 36 [2022], Iss. 9, Art. 5

- Al-Shaab Press, Printing, Publishing and Distribution House, "Abdul Hamid Sharaf the Man and The Attitude", Amman, i2, 1990.
- Al-Tal, Bilal, et al. (edit) "Abdul Hamid Sharaf, reading in his biography and experience", the proceedings of the seminar organized by the Jordanian Center for Studies and Information in collaboration with the Ministry of Culture, Amman, 1996.
- Badran, Muder, Alqarar, Almuasasat Alarabiat lildrasat walnashr, Bayrut,altabeat, aluwlaa,2020.
- Fayez Tarawneh, in the service of the Covenants, biography and memoirs, Al- Aan publishers and distributors, Amman, first Arab edition, 2019.
- General Bulletin, Prime Ministry, Issue, 9960, Wednesday, January 2, 1980.
- Jordanian Documents, Jordanian Ministries (1921-1993), Department of Press and Publications, Amman, 1993.
- Malak Yusuf al-Tal, a politician who remembers, Sharif Fawaz Sharaf.Al-Dustour, published in http://stocksexperts.net/showthread.php?t=75627
- Patrick Seale: The Shaping of an Arab Statesman: Sharif Abd Al hamid Sharaf, and the Modern Arab World. Quartet Books Ltd; First Edition (September 1, 1984).
- Prime Ministry of Jordan Website: http://www.pm.gov.jo
- Ten years of struggle and construction, the Speeches collection, His Majesty King Hussein bin Talal al-Muzam, King of The Hashemite Kingdom of Jordan, 1977 to 1987, collected, prepared and edited by Prof. Dr. Ali Mahafzah, Jordan Book Center, 1988.
- The Senate of Jordan Website http://www.senate.jo/ar/page/

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/anujr_b/vol36/iss9/5